المبحث الأول: التعريف بالمؤلف[1]:

اسمه ونسبه وكنيته:

هو يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن يوسف بن محمد بن قدامة، الإمام جمال الدين أبو المحاسن.

وينتهي نسب ابن قدامة إلى سالم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لقبه:

اشتهر المؤلف رحمه الله بابن المَبْرِد، بفتح الميم وسكون الباء، كذا ضبطه تلميذه ابن طولون[2].

(١) الدراسة عن المؤلف قد استوفاها كل من د: محمد أسعد طلس في مقدمة "ثمار المقاصد في ذكر المساجد"، وصلاح محمد الخيمي في "يوسف بن عبد الهادي حياته وآثاره المخطوطة والمطبوعة" مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ٢٦، ود: رضوان مختار بن غربية في "مقدمة الدرر النقي في شرح ألفاظ الخرقي"، وضيف الله بن صالح العمري في "يوسف بن عبد الهادي وأثره في الأصول"، وغيرهم.
وانظر ترجمة المؤلف في الضوء اللامع للسخاوي: ١٠/٣٠٨، الكواكب السائرة للغزي: ١/٣١٦، شذرات الذهب لابن العماد: ٨/٤٣، النعت الأكمل لابن الغزى: ٦٧-٧٢، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد: ٤٨٧-٤٨٨، مختصر طبقات الحنابلة للشطي: ٧٤-٧٧، فهرس الفهارس للكتاني: ٢/١١٤١-١١٤٢، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد: ٢٦جـ٢ ص: ٧٧٥-٨٠٩، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١٣/٢٨٩، مقدمة الجوهر المنضد في طبقات متأخري الحنابلة: د: عبد الرحمن العثيمين: ١٢/٣٩، مقدمة الدرر النقي: د: رضوان مختار: ١٣/٨٢، مقدمة كتاب بحر الدم د: أبي أسامة وصي الله: ١٥/٣٢، يوسف بن عبد الهادي وأثره في الأصول لضيف الله العمري: ١٧/١٧٦، مقدمة الداعي والمدعي في علم الدعاء لعبد الباسط شيخ إبراهيم: ٣٨-٩٨.

(٢) السحب الوابلة: ٤٨٨.

والمَبْرد لقب جده أحمد، لقّبه بذلك عمه، قيل لقوته، وقيل: لخشونة يده.

مولده:

ولد المؤلف بالسهم الأعلى بصالحية دمشق سلخ سنة ٨٤٠هـ.

أسرته، وطلبه للعلم:

امتازت أسرة المؤلف يوسف بن عبد الهادي بأنها أسرة ذات جذور راسخة في شرف العلم والنسب، وقد نبغ وترعرع في بيت عريق في الفضل والعلوم الشريعة والدين ألا وهو بيت آل عبد الهادي، وآل عبد الهادي من آل قدامة، وجده الأعلى محمد بن قدامة بن نصر هو أخو الشيخ أحمد بن قدامة بن نصر والد الإمام موفق الدين.

وآل قدامة كان لهم السهم الأعلى في حمل لواء العلم في بلاد الشام وغيرها، وهم الذين تولوا القضاء والتدريس والفتوى وأفادوا الناس. وارتحل إليهم الطلاب من عامة بلاد الشام، والعراق، والحجاز، واليمن، ومصر، واشتهروا بخدمة الكتاب والسنة، وكثرت تواليفهم الجيدة النافعة[(١)].

لقد عاش المؤلف طفولته بين أكناف عائلة علمية متدينة "وكان والده وجده وبعض أعمامه وإخوانه من أهل العلم"[(٢)]، ومن الطبيعي أن تعتني مثل هذه العائلة بأبنائها.

بدأ المؤلف حياته العلمية بمبادئ العلوم على أبيه وجده، ثم في مدارس وكتاتيب دمشق، كما ارتحل إلى بعلبك وأخذ عن مشايخها[(٣)]، وهذه المدينة تعتبر -بعد

---

(١) انظر: مقدمة الجوهر المنضد: ٣٦، مقدمة الدرر النقي: ٢٤، مقدمة بحر الدم: ١٦.

(٢) مقدمة الجوهر المنضد: ٣٧.

(٣) انظر: السحب الوابلة: ٤٨٨.

الصالحية- من أكثر مراكز الحنابلة ازدهارا بالعلم والعلماء في تلك الفترة[(١)].

وقد كان المؤلف ذكيا حاد الذكاء حريصا كل الحرص على الطلب، جادا مجتهدا في ذلك، حتى تمكن من لقاء المشايخ الكثيرين[(٢)].

شيوخه:[(٣)]

تلقى المؤلف يوسف بن عبد الهادي العلم عن أبيه وجده وعن مشايخ كثيرين كان لهم الأثر في تكوينه العلمي والثقافي.

وقد قرأ القرآن على الشيخ أحمد المصري الحنبلي، والشيخ محمد، والشيخ عمر العسكريين، وتفقه على الشيخ تقي الدين الجراعي، وابن قندس، والقاضي علاء الدين المرداوي، كما تفقه على أبيه وجده.

وحضر دروس خلائق منهم القاضي برهان الدين بن مفلح، والبرهان الزرعي، وأخذ الحديث عن خلائق من أصحاب الحافظ ابن حجر العسقلاني، وابن العراقي، وابن ناصر الدين، وغيرهم[(٤)].

وقد ألف المؤلف ثلاثة معاجم كبيرا ووسطا وصغيرا ضمنها أسماء شيوخه[(٥)].

---

(١) مقدمة الجوهر المنضد: ١٧.

(٢) انظر: مقدمة بحر الدم: ١٦.

(٣) انظر: شيوخ المؤلف في مقدمة الجوهر المنضد: ١٣-١٦، مقدمة الدرر النقي: ١/٢٩-٣٥، يوسف بن عبد الهادي وأثره في الأصول ٤٢-٥٢ مقدمة الداعي والمدعي ٤٧-٥٣.

(٤) انظر: شذرات الذهب: ٨/٤٣، النعت الأكمل: ٦٨، مختصر طبقات الحنابلة: ٧٥.

(٥) مقدمة الجوهر المنضد: ١٦.

تلاميذه:[1]

لم نجد ممن ترجم للشيخ يوسف بن عبدالهادي من أصحاب كتب الرجال والطبقات من يذكر تلاميذه، ولكننا إذا رجعنا إلى مؤلفات الشيخ يوسف نجد هناك مجموعات كبيرة من العلماء والطلاب الذين استفادوا منه وتتلمذوا عليه، وقد أجاز لهم رواية هذه المؤلفات[2].

ومن أشهر تلاميذه:

١- شمس الدين محمد بن طولون، المتوفى سنة ٩٥٣هـ[3].

٢- نجم الدين بن حسن الماتاني، المتوفى سنة ٩٢٣هـ[4]، وغيرهما كثير، بالإضافة إلى أولاده وأقاربه.

مؤلفاته[5]:

كان المؤلف -رحمه الله- من المكثرين في التأليف في فنون شتى، وعلوم مختلفة، وأغلبها في علوم الحديث.

---

(١) انظر: تلاميذه في مقدمة الجوهر المنضد: ٣٣-٣٦، مقدمة الدرر النقي: ١/٣٥-٣٨، يوسف بن عبد الهادي وأثره في علم الأصول ٥٣-٥٧، مقدمة الداعي والمدعي ٥٤-٥٦.

(٢) انظر مثلا كتابه "فضل لاحول ولا قوة إلا بالله" ورقة ٤٩-١-٢ مخطوط تحت رقم ١٠٠٩، بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية.

(٣) ترجمته في الكواكب السائرة: ٢/٥٢، شذرات الذهب: ٨/٢٩٨.

(٤) ذكره ابن العماد في شذرات الذهب: ٥/٤١٥.

(٥) انظر مؤلفاته في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ٢٦ جـ٢ ص ٧٧٨-٨٠٥، مقدمة كتاب الدرر النقي: ١/٣٩-٨٠، ويوسف بن عبد الهادي وأثره في علم الأصول: ٥٨-١٧٠، ومقدمة كتاب الداعي والمدعي: ٥٧-٨٩.

وقد كتب أيضا في علوم القرآن، وفي الفقه الحنبلي، وفي التراجم والعقيدة، وفي التصوف، وفي التاريخ والسيرة النبوية، والأدب، والطب، واللغة، وغير ذلك من العلوم والفنون.

قال الغزي: "وله من التصانيف ما يزيد على أربعمائة مصنف، وغالبها في علم الحديث والسنن"[(١)].

وقال ابن العماد: "وكان إماماً علامة يغلب عليه علم الحديث والفقه، ويشارك في النحو، والتصريف، والتصوف، والتفسير، وله مؤلفات كثيرة وغالبها أجزاء"[(٢)].

ومع كثرة مؤلفات ابن عبد الهادي إلا أن بعضها جاءت غير محررة، ذكر صاحب "السحب الوابلة" عن النعيمي أنه قال: "وقد صنف كثيرا من غير تحرير"[(٣)].

وقد وصف بعضهم بأن مؤلفاته جاءت في غاية التحرير،والقول الصواب في ذلك أن من وقف على الصنف الذي بقي على أصوله ''مسودات '' لم يبيض و لم يفرغ لمراجعتها واستيفائها حكم عليها بأنها جاءت غير محررة . ومن وقف على الصنف الذي قد قام بتبييضها ومراجعتها واستيفائها حكم عليها بأنها جاءت في غاية التحرير . والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أن من وقف على المحرر منها فظنها جميعا بهذه الدرجة كما أن النعيمي يقصد الأصول المسودات التي اطلع عليها فيفك بهذا الخلاف [(٤)].

ومن الجدير بالذكر أن هذه المؤلفات الكثيرة قد كتبها المؤلف بخطه. ومع كثرة مؤلفات ابن عبد الهادي لم يطبع منها إلا القليل، وذلك يرجع إلى رداءة خط المؤلف إلى درجة يتعذر معه قراءة بعض الجمل والعبارات مما جعل كثير من النساخ لايتجاسر على نسخها واستخراجها من خطه، فبقيت مؤلفاته بخطه إلى يومنا هذا.

قال الشيخ جميل الشطي: "وكان كثير الكتابة سريع القلم، قل من يحسن قراءة خطه، لاشتباكه وعدم إعجامه"[(٥)].

---

(١) النعت الأكمل: ٦٩.

(٢) شذرات الذهب: ٨/٤٣.

(٣) السحب الوابلة: ٤٨٧.

(٤) انظر مقدمة الدر النقي : ٤٠

(٥) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٧

عقيدته :

إذا جئنا نتحدث عن مذهب الشيخ، فسنجد أن الشيخ كان حنبلي الأصول والفروع على مذهب أهل الحديث والسنة، وكانت عقيدته في باب الصفات أنه يثبت لله عزوجل الصفات كما أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، بل على أساس قول الله عزوجل: ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ويظهر ذلك جليا لمن تدبر كلامه في عدة مواضع من هذا الكتاب.

قال في معرض الرد على ابن عساكر ص: ٨٩: "هل كان من هدى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه علم الكلام أو التأويل؟ أو كان من هديهم الإقرار بذلك والسكوت عنه".

ثم قال: "هل ورد علم الكلام والتأويل عنهم أم لا؟ إن قلت: بلى، فهو كذب عليهم، وإن قلت لا، فلا وسع الله على من لم يسعه ماوسعهم، وأين الاقتفاء بمنهجهم مع التأويل والنفي".

وقال في موضع من كلامه ص: ٩٢: "يا لله العجب! هل التأويل مبتدع أو من يقول نمرها كما جاءت ونؤمن بها؟ .. وهل التمسك بالحديث مبتدع أو علم الكلام؟ أين العقول والأفهام؟".

وقال في ص: ٣٠١ عندما تكلم عن الصفات الخبرية: "فما أثبت الله لنفسه نثبته له، وليس فيه تشبيه، فنحن لانؤول وننفي المثبت بحجة التشبيه، هذا هو العناد والمخالفة، وإذا خرجت من الإثبات إلى التأويل فنفس ما خرجت إليه يلزم فيه ذلك الذي خرجت لأجله".

ومن خلال هذه النصوص التي ذكرناها، تبين لنا أن الشيخ كان سلفي العقيدة لاريب في ذلك. والله أعلم.

ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى كثير من العلماء على ابن عبد الهادي ثناء حسنا، سواء أكانوا من تلاميذه أم من المؤرخين الذين رووا أخباره ووقفوا على آثاره، وهذا بعض ما قاله العلماء الأجلاء في الثناء عليه:

قال تلميذه ابن طولون: "هو الشيخ الإمام علم الأعلام المحدث الرحلة العلامة الفهامة العالم العامل المنتقي الفاضل، جمال الدين أبو المحاسن..."[1].

وقال نجم الدين الغزي: "الشيخ الإمام العلامة المصنف المحدث"[2].

وقال كمال الدين الغزي: "هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام، نخبة المحدثين، عمدة الحفاظ المسندين، بقية السلف قدوة الخلف، كان جبلا من جبال العلم وفردا من أفراد العالم، عديم النظير في التحرير والتقرير..."[3].

وقال في موضع آخر: "وأجمعت الأمة على تقدمه وإمامته، وأطبقت الأئمة على فضله وجلالته"[4].

وقال جميل الشطي: "وبالجملة فقد كان إماما جليلا عالما نبيلا، أفنى عمره بين علم وعبادة وتصنيف وإفادة"[5].

---

(١) السحب الوابلة: ٤٨٨ نقلا عن سكردان الأخبار لابن طولون.

(٢) الكواكب السائرة: ١/٣١٦.

(٣) النعت الأكمل: ٦٨، وانظر التعليق على هذا القول ص: ١٨

(٤) النعت الأكمل: ٦٩.

(٥) مختصر طبقات الحنابلة: ٧٧.

وفاته:

توفي الإمام جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الهادي-رحمه الله-بعد حياة حافلة بالعلم والتأليف والتدريس يوم الاثنين السادس عشر من محرم سنة ٩٠٩هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون، وكانت جنازته حافلة.(١)

المبحث الثاني: التعريف بابن عساكر صاحب "تبيين كذب المفتري"(٢)، وبيان عقيدته:

هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، الحافظ الكبير المجود، محدث الشام، أبو القاسم بن عساكر الدمشقي الشافعي، صاحب "تاريخ دمشق".

ولد في المحرم سنة ٤٩٩، وكان بدء سماعه سنة ٥٠٥ هـ، وتفقه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن السلمي، وارتحل إلى العراق، وخراسان، وأقام ببغداد خمسة أعوام يحصل العلم، وارتحل أيضا إلى مكة، والمدينة، كما ارتحل إلى بلاد العجم كأصبهان، ونيسابور، ومرو، وبيهق، وهراة، وغيرها.

وعدد شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة، وصنف الكثير.

ولما دخل بغداد أعجب به العراقيون، وقالوا: ما رأينا مثله، وكذلك قال مشايخه الخراسانيون.

وقال الإمام النووي: "هو حافظ الشام، بل هو حافظ الدنيا، الإمام مطلقا، الثقة

---

(١) الكواكب السائرة ٢١٦/١، مختصر طبقات الحنابلة :٧٧

(٢) انظر ترجمته في وفيات الأعيان: ٣٠٩/٣-٣١١، تذكرة الحفاظ: ١٣٢٨/٤-١٣٣٤، العبر: ٦٠/٣-٦١، السير: ٥٥٤/٢٠-٥٧١، طبقات الشافعية للسبكي: ٢١٥/٧-٢٢٣، النجوم الزاهرة: ٧٧/٦، شذرات الذهب: ٢٣٩/٤-٢٤٠، وانظر أيضا: ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب- وزارة التعليم العالي.